ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: <http://arid.my/j/aijssh>

مَجَلَّةُ أُرَيْدُ الدَّوْلِيَّةُ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ

المجلد الثاني، العدد الرابع، تموز 2020 م

Slang and its impact on the Arabic tongue

Dr.Zain Alabeden Hajeb Mohammd Adnan Alattar* Jehad Mohamad ALHennawy

العامية وأثرها على اللسان العربي

جهد محمد رمضان الحناوي

محمد عدنان رجب العطار*

زين العابدين حاجب

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية-ماليزيا

atarmohda@gmail.com

arid.my/0004-0325

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.243>

ARTICLE INFO

Article history:

Received 03/04/2020

Received in revised form 8/05/2020

Accepted 11/06/2020

Available online 15/07/2020

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2020.243>

ABSTRACT

Vernacular dialects appeared strongly when Arabs mixed with others, during the Islamic conquests in the early days of Islam, and with the passage of time and Arabs mixed with others, and because hearing is the father of the linguistic queens, and due to time people gradually drifted away from classical, especially in the language of daily conversation. In the modern era, calls for the rejection of al-Fusha and the use of vernacular by Western orientalists and their Arab recruits, who carried the banner of antagonism under brilliant names such as: facilitation, reform, and the study of dialects, and others, escalated, and the vernacular prevailed over the daily conversation of people, and was counterbalanced by the actual deterioration of the classical, This has resulted in many dangers, including: that colloquies cut off the present of Arabs from their past; Because future generations will not understand the heritage of their ancestors, and illiteracy has also worked to fragment and disintegrate the Arab nation, and Arab colloquials have become dictionaries to clarify their meanings, and ... therefore, it was necessary for Arabism to remain the strongest bond that unites Arab peoples, so decision-makers must From practical steps to reduce colloquials, by reviewing the educational and educational curricula so that they are disposed to achieve proper reading, writing and conversation, from kindergarten to graduation, so that linguistic security becomes an integral part of cultural security, and media and social media must be adapted to carry the language Classical, and above all the education of the child and the Arab individual on the sense of the value of classical language, it reflects the sovereignty of the nation speaking it.

المُلخَص

ظهرت اللهجات العامية بقوة عند اختلاط العرب بغيرهم، إبان الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام، ومع مرور الزّمن واختلاط العرب بغيرهم، ولأنّ السّمع أبو الملكات اللسانية، وبفعل الزمن ابتعد الناس شيئاً فشيئاً عن الفصحى، لا سيّما في لغة الحديث اليومي. وفي العصر الحديث تصاعدت الدعوات إلى نبذ الفصحى واستخدام العامية من قبل المستشرقين الغربيين ومن طواعهم من العرب، الذين حملوا لواء الخصومة تحت مسمّيات براقية مثل: التيسير، والإصلاح، ودراسة اللهجات، وغيرها، فأصبحت العامية تغطي على الحديث اليومي للناس، ويقابله التدهور الفعلي للفصحى، وقد نتج عن ذلك مخاطر كثيرة منها: أن العامية تقطع حاضره العرب بماضيهم؛ لأنّ الأجيال القادمة لن تفهم تراث أسلافها، وكذلك عملت الأمية على التشرذم والتفكك في الأمة العربية، وأصبحت العاميات العربية تحتاج إلى معاجم لتوضيح معانيها، ولذا كان لا بدّ أن تبقى العربية هي الرباط الأقوى الذي يجمع الشعوب العربية، فكان لا بدّ لأصحاب القرار من خطوات عملية للحدّ من العاميات، وذلك بإعادة النظر في المناهج التعليمية والتربوية بحيث تخلص لتحقيق القراءة والكتابة والحديث الصحيح، بدءاً من رياض الأطفال وحتى التخرج، بحيث يصبح الأمن اللغوي جزءاً لا يتجزأ من الأمن الثقافي، وكذلك يتوجب تطويع وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي لحمل اللغة الفصحى، وقبل هذا كله تربية الطفل والفرد العربي على الشعور بقيمة اللغة الفصحى، فهي تعبر عن سيادة الأمة الناطقة بها.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

اقتضت نوااميس اللغات أن اللغة متى انتشرت في مناطق واسعة من الأرض، وتكلمت بها طوائف مختلفة استحال عليها الاحتفاظ بوحدها الأولى، بل تنتشعب إلى لهجات، ولا تنفك اللهجات أن تتسع المسافة بينها، ثم تصبح كل لهجة لغة مختلفة وتموت اللغة الأم، ولم تفلت اللغة العربية من هذه السنّة الكونية، لكن اللغة العربية الفصحى لها ظرف خاص لم يتوفر لأي لغة من اللغات؛ وهو أنها ارتبطت بالقرآن منذ أربعة عشر قرناً، ودون بها التراث الضخم الذي كان القرآن محوره.

وظاهرة وجود العامية إلى جانب اللغة الفصحى؛ ظاهرة لغوية في جميع لغات العالم، لا سيما في اللغة العربية، والتي حافظت على قوتها وفصاحتها على مرّ القرون، لكن سرعان ما بدأت العامية تنتشر شيئاً فشيئاً بين المتحدثين باللغة العربية، وأصبح العزوف عن الفصحى وظهور العاميات واضحاً عند العرب، وذلك نتيجة منطقية لتمزق الأمة وتشرذمها في عصور انحطاطها.

لذا يسعى هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة تؤثر سلباً على اللسان العربي؛ وهي ظاهرة غلبة العامية على ألسنة المتحدثين بالعربية، وكل ذلك كان نتيجة لعوامل عدة، وكان خلفه أهداف مخفية سعى الغرب إلى تحقيقها من أجل محاربة الإسلام، ولا أدل على ذلك من قول (وليم جيفور دبلجراف): "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه".

ويتناول هذا البحث أثر العامية على اللسان العربي، حيث تناول تعريف العامية ومبادئها، وكذلك تعريف اللغة الفصحى وعناصرها وأهميتها، ثم تعرّض البحث للدعوات الهدامة لاستخدام العامية، حيث ذكر البحث أبرز هذه الدعوات، وأهم ركائزها والردّ عليها من الغيورين على اللغة العربية الفصحى، ثم تناول البحث أثر هذه الدعوات على اللسان العربي فذكر مخاطر العامية على اللغة العربية الفصحى بشكل عام، وعلى اللسان العربي بشكل خاص، ثم ذكر البحث أسباب تدهور الفصحى، ومن ثم عرض كيفية الحفاظ على اللسان العربي من غزو العاميات، وسبل التصدي لهذه المشكلة.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يناسب مثل هذه الدراسات اللغوية؛ فهو يحللها تحليلًا واقعيًا بحيث يمكننا الوصول لأفضل النتائج المرجوة.

ويهدف هذا البحث بشكل عام إلى بيان مميزات العربية الفصحى، والتي هي لغة القرآن، الذي جعل العربية مميزة عن غيرها من اللغات العالمية التي اندثرت بفعل الزمان، وكذلك من حيث استيعابها للعقل العربي، ومواكبتها لكل التطورات، وكذلك يهدف البحث إلى التعرف على مخاطر الوقوع في شرك العامية وتجنبها، ويهدف إلى توعية أبناء العربية بخطر إهمالهم للغة الفصحى وميلهم إلى التساهل في التعامل مع العاميات، وماله من أثر خطير على اللسان العربي.

ولعل من أهم الحقائق التي أثبتتها النون والقرون الغابرة أنَّ القرآن كان له الأثر في حفظ اللغة العربية الفصحى من الانقراض، وفي الحدِّ من تطور اللهجات العامية، وكذلك أنَّ اللغة العربية الفصحى هي من أهم عوامل وحدة العرب وتقاربهم، في المقابل أكدَّ على أنَّ التعاطي مع العامية على حساب الفصحى هي من أسباب الفُرقة والتشرذم، وتوصل الباحث إلى ضرورة الاهتمام بالعربية الفصحى في المراحل التدريسية جمعاء، حيث إنَّه لا بدَّ أن يكون الاعتناء بالفصحى من أهم ما يشغل المدارس والمعاهد والجامعات، ولا بُدَّ من إقناع المواطن العربي أنَّ اللغة الفصحى خيرُ وعاء يجمع العرب بعد الإسلام.

المبحث الأول: بين الفصحى والعامية

المطلب الأول: اللغة العامية نشأتها ومفهومها

العامية لغةً: لفظة مأخوذة من لفظ العام مقابل الخاص، حيث ذكر أبو منصور الثعالبي (ت373هـ) في معجمه تهذيب اللغة: "يُقال رجلٌ عُمي، ورجلٌ قُصري، فالعمى العام، والقصري الخاص". [1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ): "والعامَّة خلاف الخاصة"، [2] فالعامية من العامة وهي خلاف الخاصة، ويُقال للمذكَّر عاميٌّ عند نسبته، ويُقال للمؤنث عامية عند نسبتها، لذا يُقال اللُّغة العامية.

العامية اصطلاحاً: ورد لمصطلح العامية تعريفات عدة عند علماء اللغة العرب القدامى والمُحدثين، سأذكر مجموعة من هذه التعريفات؛ اللغة العامية: "هي اللغة التي تُستخدم في الشؤون العادية والتي يجري بها الحديث اليومي". [3]

وبعبارة أدق: " لفظ العامية يقابل الفصحى، ويعنون به ما شاع استعماله عند العامة، فهي إذن اللغة الفصحى فقدت جزءا من خصائصها النحوية والصرفية بفعل آثار التطور الصوتي والدلالي، وهي لغة العامة أنشأتها لمسايرة أوضاعها المختلفة"، [4] وقيل عن العامية: "هي اللهجة المنطوقة في عصرنا الحالي المنحدرة من الفصحى، المنطوق بها في عصر الفصاحة العفوية ولهجاتها وأصابتها تغيرات كثيرة بعد اختلاط العرب بغيرهم...". [5]

فلفظ العامية يُطلق على العربية المحكية التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية، وقد تعددت بين البلدان العربية، وإن شئت فقل تعددت داخل البلد الواحد.

وقد تباين العلماء في فهمهم لمصطلح العامية؛ فمنهم من يراها لغة قائمة بذاتها، وهناك من يراها مأخوذة عن الفصحى أو مرتبطة بها، ولكل منهم رأيه.

حيث يرى أنيس فريحة أن العامية لغة قائمة بذاتها، حية، متطورة، نامية، تتميز بجميع الصفات التي تجعل منها أداة طبيعية للفهم والإفهام، وللتعبير عن دواخل النفس، وأن لها قواعدها وأصولها، بينما يقرُّ كمال يوسف الحاج بأن العامية مأخوذة عن الفصحى ومرتبطة بها، أما الدكتور كمال بشر فيرى أن العامية لغات غير نامية بينما اللهجة هي التنوع ذو القرابة بالأصل والمُتَوَلَّد عن أصل عام. [6]

المطلب الثاني: عوامل ظهور العامية

لقد كان الإنسان العربي يتكلم اللغة الفصحى على سلفيته وفطرته وسجيته، دون أي حاجة لتعلُّم قواعد النحو والصرف المختلفة، وقد جاء القرآن مَثْبُتًا لذلك، حتى إنَّه تحدى العرب في فصاحتهم، وما أن جاء الإسلام وبدأ سنامه يرتفع وينتشر، حتى توسَّعت رقعة الدولة الإسلامية، ما ترتَّب عنه توسُّع رقعة الناطقين باللغة العربية نتيجة الفتوحات، وبدأ اللحن يتسرَّب في داخل اللغة ويظهر فيها اللحن والخطأ واللهجات المتعددة، وقد كانت العامية موجودة منذ القدم البعيد، لكنَّها لم تكن ذات تأثير حتى بدأ الشعر الشعبي في الظهور، والذي واكب العاميات المنتشرة، وأصبحت البلدان العربية ذات ألسنة متعددة، لكلِّ بلد لهجته، وقد ردَّ معظم المؤرخين نشأة العامية إلى خروج اللغة العربية من موطنها الأصلي، واحتكاكها باللغات الأخرى.

وقد اقتضت نوااميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا، بل لا تلبث أن تنتسب إلى لهجات، وتسلك

كل لهجة طريقها، ولا تنفك تتسع المسافة بينها حتى تصبح كل لهجة منها متميزة غير مفهومة إلا عند أهلها، ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية على مرّ العصور، ولم تقلت العربية من هذا المصير، فمنذ أن اتسع انتشارها بسبب الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام في الأمصار المتعددة أخذت تنتشعب إلى لهجات، وأخذت المسافة تتسع بين هذه اللهجات حتى أصبح بعضها غريبا؛ فلهجة العراق في العصر الحالي لا يفهمها المصري، وهكذا... [7]

وقد أجمل الدكتور عبده الراجحي عوامل نشأة العامية كالآتي:

1. **العامل الجغرافي:** حيث تتسع الرقعة الجغرافية للمتكلمين باللغة، وتفصل بينهم الجبال والأنهار، مما يحدث فروقا بين سكان هذه المناطق في الجو والبيئة والطبيعة، حيث لا يخفى علينا أنّ هذه الفروق الطبيعية تُنتج فروقا لغوية؛ فالذين يعيشون في القرى يتكلمون لغة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في المدن.

2. **أسباب اجتماعية:** حيث إن المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤثر في وجود اللهجات فكل طبقة تحاول أن تكون لها لغتها، وأسلوبها المميز؛ فالطبقة العليا في المجتمع تتخذ لهجة غير الطبقة الوسطى، وهلمّ جرّا.

ومن الأسباب الاجتماعية احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات، وهذا الاحتكاك أو الصراع اللغوي يعدّ من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نشأة اللهجات؛ حيث إنّ شعبا يغزو شعبا يتكلم لغة أخرى؛ فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة، وتكون النتيجة إمّا القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما، أو ينشأ من الصراع لغة مشتقة من اللغتين.

3. **أسباب فردية:** من حقائق اللغة أنها إذا كانت واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها، ومن المسلمّ به أنّه لا يوجد شخصان بصورة واحدة لا تفرق، واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة، أو إنشاء لهجات أخرى.

4. **أسباب جسمية فيزيولوجية:** وتتمثل في وجود فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق بين سكان المناطق المختلفة. [8]

5. **التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق عند الفرد:** فمن المقرر أن أعضاء النطق في الإنسان في تطوّر طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها ووظائفها، فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا تختلف

عما كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم تكن في بنيتها الطبيعية فعلى الأقل في استعدادها، وغني عن البيان أن كل تطوّر في أعضاء النطق ينتجه تطوّر في أصوات الكلمات.

6. **الأخطاء السمعية، وسقوط الأصوات الضعيفة:** قد يحيط بالصوت بعض المؤثرات التي تعمل على ضعفه بالتدرج، كوقوعه في أواخر الكلام، وزيادته عن بنيتها، وعدم توقف المعنى المقصود، فيتضاءل جرسه شيئاً فشيئاً، حتى يصل في عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع، ومعظم الصغار في هذا العصر لا يكادون يتبينونه في نطق الكبار فينطقون بالكلمات مجردة منه.

7. انتقال أصوات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التي احتكت بها، فمن ذلك صوت بين الشين والجيم، ينطق بها في عامية القراء في لفظ (عربنجي) وهو سائق العربية، فمن المحتمل أن يكون هذا الصوت انتقل إليها من التركية. [9]

المطلب الثالث: التسلسل الزمني لظهور العامية:

ظهرت العامية بقوة تأثيرها على اللسان العربي عند اختلاط العرب بشعوب البلدان الأخرى إبان الفتوحات الإسلامية، والتي نتج عنها دخول العديد من الشعوب في دين الله أفواجا، ومع مرور الزمن والاختلاط الحاصل بين العرب والعجم في البلدان التي فتحها المسلمون، أخذت الألسنة بالفساد، ولأنّ السمع أبو الملكات اللسانية كما قال ابن خلدون، [10] وبفعل الزمن وابتعاد الناس شيئاً فشيئاً عن الفصحى، أدّى ذلك إلى تشكيل لهجات عامية جديدة، والتي سيطرت على الكلام المنطوق لأهل البلاد جميعاً، وفي ضوء ذلك يمكننا وضع تسلسل زمني تقديري لظهور العامية:

1. فسدت الألسن في العصر العباسي، وشاع اللحن بسبب الاختلاط مع شعوب البلاد المفتوحة، فظهرت العامية في بعض الكتابات لكنّها لم تكن ظاهرة.
2. عند الامتزاج العنصري والاجتماعي بين العرب واللاتينيين في الأندلس أخذت العامية العربية تختلط مع العامية اللاتينية، ومن ثم ظهرت الموشحات في أواخر القرن الثالث للهجرة، وكانت الخرجة فيها تُكتب بالعامية في البداية، ثم ما لبثت أن تحوّلت الموشحات في معظمها إلى العامية.

3. في بداية القرن السادس ظهرت دولة المرابطين والتي ازدهر فيها الزجل وذاع بين الناس، والذي كان له دورٌ سلبيٌّ في تكريس العامية، وظهر في المشرق العربي الشعر العامي، حيث كانوا ينظمون الشعر العامي، وأصبح تذوق الشعر الفصيح للفئات المثقفة فقط.
4. في عصر الأيوبيين والمماليك كانت الطبقة الحاكمة لا تتقن الفصحى، وإنَّما العامية، فصعُب الأدب عامَّةً والشعر خاصة، وأصبحت العامية تنتشر بين الناس بسبب عدم إتقانهم للفصحى وليس السبب منهجياً.
5. أما في العصر العثماني فبدأت عملية التتريك، وكان يتوجب على المثقف أن يُتقن اللغة التركية بجانب العربية، وأخذت الفصحى في الاضمحلال، وكان إدخال المفردات التركية في الحديث اليومي بين الناس الأثر البالغ في إضعاف اللغة العربية.
6. ثم جاءت مرحلة الاستعمار الأوروبي للدول العربية، وبدأت عملية فرض اللغات الأوروبية على العرب، ولعبت المدارس التبشيرية دوراً قوياً في ذلك. وأصبح دعاة العامية الذين خلفهم الاستعمار يدسُّون سمومهم في اللغة، تحت مسميات مختلفة والهدف واحد؛ كإصلاح اللغة، أو التطوير، أو التسهيل، أو التجديد.
7. في أيامنا هذه لجأ كثير من الكتاب لاستخدام الألفاظ العامية في الأدب بحجة الواقعية، وتحت حجج أخرى، فتكرست العامية وغزت مناحي الحياة كافة. [11]

المطلب الرابع: اللغة الفصحى وأثرها

- **الفصحى لغة:** الفصاحة في لسان العرب: "فصح، الفصاحة البيان، وتقول رجل فصيح، و غلام فصيح؛ أي بليغ ولسان فصيح أي طليق" [12]، وقيل في الصَّحاح: "فصح رجل فصيح، أو غلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق، ويُقال: كل ناطق فصيح" [13]، ويوضِّح الجوهري (ت393هـ) ذلك فيقول: إنَّ كل ناطق فصيح، وما لا ينطق فهو الأعجم، بل الأكثر من هذا، وفي حقيقة الأمر أنَّ الفصحى ليس هو كل إنسان فصاحته مطلقة، بل إنَّ الإنسان الناطق باللغة العربية هو الفصحى، وإن كان أعجمياً، ويؤكد ذلك قول الزمخشري (ت538هـ) في كتابه أساس البلاغة: أفصح العجمي أي تكلم بالعربية [14]، وذكر أنَّ مفهوم الفصاحة في اللغة هو الإظهار، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري (ت395هـ): والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب أفصح الصبح، إذا أضاء، وأفصح اللبن إذا ذهب رغوته وظهر، ثم استُعير هذا

المفهوم من أفصح الصبح وأفصح اللين إلى الكلام الإنساني، كما يوضح ذلك الراغب الأصفهاني (ت502هـ): ومنه استُعير فصح الرجل جادت لغته". [15]

فالإفصاح في اللغة هو الإظهار والإبانة.

- **الفصحى اصطلاحاً:** يعرف أبو نصر الفارابي (ت339هـ) الفصحى بشكل عام قائلاً: فينشأ من نشأ على اعتيادهم النطق بحروفهم من حيث اعتمادهم عليها في تفاهمهم وعلى ألسنتهم، حتى لا يعرفون غيرها حتى تحفو ألسنتهم عن كل لفظ سواها، وعن كل تشكيل لتلك الألفاظ غير التشكيل الذي تمكن منهم، فهذا هو الفصيح والصواب من ألفاظهم، وتلك الألفاظ، وهي لغة تلك الأمة، وما خالف ذلك فهو الأعجم، والخطأ من ألفاظهم [16]، وقيل: "الفصاحة: هي طلاقة اللسان أي الخلوص من عقدة اللسان، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: 9) . [17]

كما عرّفها آخرون؛ الفصاحة أول لغة استخدمها العرب في حياتهم، وعُرفت بهم، وعُرفوا بها، إنها اللغة التي نزل بها القرآن، وسعت كل أحكامه وقوانينه وعلومه، إنها لغة العقيدة والدين الإسلامي. [18]

ويؤكد هذه الفكرة ابن وهب (ت335هـ) حيث قال: إن الفصحى من الكلام هو الذي وافق لغة العرب... ولتصحيح ذلك وضع علم النحو، ولجمعه وضعت الكتب في اللغة، وحق من نشأ في العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم، ولا يخرج عن جهة ألفاظهم، ولا يقتنع في نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويلحنوه. [19]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن المفهوم الاصطلاحي للفصاحة العربية لا يخرج عن المفهوم اللغوي الأصلي السابق، فهو منبثق منه وعليه دون خطأ أو عجمة وعدم وضوح وإبانة وإظهار عن التبليغ. [20]

ونستشف من ذلك أن الفصاحة تكمن في استطاعة الفرد التعبير عن كل شيء بكل بساطة ووضوح.

ويمكننا القول أيضاً: إن اللغة العربية الفصحى هي لغة الكتابة أو لغة الأدب، اللغة التي تُدَوّن بها المؤلفات والصحف وشؤون القضاء... ويُؤلف بها الشعر والنثر الفني، وتُستخدم في الخطابة والتدريس، وفي تفاهم بعضهم مع بعض، فهي لغة القرآن الكريم، والتراث العربي والتي تُستخدم في المعاملات الرسمية. [21]

وقيل: "اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري عامة". [22]

المطلب الخامس: خصائص اللغة الفصحى:

وتتميز اللغة الفصحى بمميزات عدة، أهمها الآتي:

1. على اختلاف الأقوال في أعداد مفردات اللغة العربية، فإنَّ هذه الأرقام تكشف طبيعة اللغة العربية وتاريخها، دون الحاجة إلى أيِّ قدر من الإشادة والمبالغة، وتكشف عن البعد التاريخي التنموي الحيوي لهذه اللغة.

2. اللغة العربية هي اللغة القومية لمائة مليون من العرب، وهي لغة الفكر والثقافة والعقيدة لألف مليون من المسلمين، حيث كانت لغة السيادة والتجارة ولغة العلم قرابة الألف سنة ولم تبق لغة واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين، وقد تميَّزت اللغة العربية بأنها لغة فكر من حيث هي لغة القرآن الكريم الذي ألقى إلى العربية وإلى الفكر الإنساني أضخمَ شحنة من القيم والمبادئ.

3. إنَّ اللغة الفصحى هي لغة اشتقاق تقوم على أبواب الفعل الثلاثي التي لا وجود لها في جميع اللغات العالمية؛ ففي اللغة العربية حروف لأصوات لا توجد في كثير من اللغات الأخرى، مثل حرف الغين والضاد...

4. تتميز اللغة الفصحى بتنوع الأساليب والعبارات، والمعنى الواحد يمكن أن يُؤدَّى بطرق مختلفة.

5. مقدرتها على التعبير عن معاني ثانوية لا تعرف الشعوب الغربية كيف تعبر عنها.

6. من خصائصها أنَّ جميع مشتقاتها تقبل التصريف إلا فيما ندر، وهذا يجعلها طوع أهلها أكثر من غيرها، وأوفى بحاجة المتكلمين. [23]

وتتميز بخاصة إظهار الأفكار بطريقة موجزة دون استدراج السامع إليها، كما تتميز بإضافة الحوادث إلى الفعل أكثر من إسنادها إلى الفاعل.

- ما يميِّز اللغة العربية الفصحى عن غيرها:

إنَّ اللغة العربية الفصحى ليست كغيرها من اللغات، والتي يكون التطور فيها طبيعياً؛ لأنَّ لها ظرفاً خاصاً لم يتوفر لأيِّ لغة من اللغات، وهذا الظرف يجعلنا نرفض كلَّ ما ينادي به الغافلون سواء بقصدٍ أم بغير قصد من ترك الحبل على الغارب للعربية الفصحى كي تتفاعل مع العاميات كما يحدث مع كلِّ اللغات، صحيح أنَّ اللغة

كائنٌ حي يتطور على ألسنة المتكلمين فيُنشئ التطور اختلاف لغة العصر والعصر الذي سبقه، ويحدث الصراع ما بين القديم والجديد، وبعد فترةٍ الذي كان جديداً يصبح قديماً، وهكذا تضمحل لغة العصر الأسبق، وتظهر لغة العصر الجديد فهذه سُنّة كونية، وتاريخ اللغات يشهد بذلك.

غير أنّ اللغة العربية الفصحى لها ظرفٌ خاص لم يتوفر لأيّ لغة من لغات العالم؛ ذلك أنها ارتبطت بالقرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، ودوّن بها التراث الضخم الذي كان محوره القرآن وقد كفل الله تعالى الحفظ، ولولا أنّ الله شَرَّفها بذلك، وأنزل بها كتابه، وقِيضَ لها من خلقه من يتلوها ليل نهار، لولا كلُّ ذلك لأصبحت اللغة العربية الفصحى لغة أثرية كاللغة اللاتينية والسنسكريتية.

هذا هو السرّ الذي يجعلنا لا نقيس العربية الفصحى بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة، حيث إنّ أقصى عمر تلك اللغات لا يتعدى قرنين من الزمن.[24]

فارتباط اللغة العربية الفصحى بالقرآن الكريم هو السرّ في تمسُّكنا بالعربية الفصحى ودراستها بشكل مستفيض حتى نفهم بها القرآن، وما دار حوله من دراسات، وكذلك الشعر العربي القديم الذي يُلقي الضوء على المعاني القرآنية، ويساعد في توضيح بعض معاني القرآن الكريم. [25]

فهذه الفصحى استمرت حية أربعة عشر قرناً، وستستمر في حياتها إلى ما شاء الله، متخذة من القرآن عنصر الحياة، وفي ذلك يقول أبو حاتم الرازي (ت322هـ): ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب والاستعانة بالشعر على العلم بتفسير القرآن وأحاديث النبي ﷺ، والصحابة والتابعين، والأئمة الماضين لبطل الشعر وانقرض ذكر الشعراء، ولَعَفَى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم. [26]

المبحث الثاني: الدعوة إلى العامية

لقد دارت في العصر الحديث معركة بين أنصار العربية الفصحى ودعاة العامية، وسمّيت دعوات استخدام العامية وترك الفصحى بالدعوات الهدامة، فظهرت أشكال ومسمّيات عدة في سبيل الدعوة إلى العامية، وهجر اللغة الفصحى، ما ترتب عليه الخطر الكبير على اللغة، وقد ظهر مجموعة من الأدباء الذي صبّوا جُلَّ اهتمامهم نحو هذه الدعوات، وفي المقابل انبرى لهم مجموعة من الأفاضل ليدحضوا دعواهم، ثم يدافعوا عن اللغة العربية الفصحى، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث.

المطلب الأول: أشكال الدعوة للعامية

أولاً: الدعوة إلى استخدام العامية:

تعاليت الدعوات إلى استخدام العامية بدل الفصحى وذلك بتأليف دراسات وكُتِبَ عما أُطلق عليه اللغة المحكية، أو العامية المصرية، ومن أبرز الدعوات دعوات المستشرقين (وليم ويلكوكس) 1893، (وسبيتا) الألماني 1902، (وويلمر القاضي) 1910.

ولقد فهم أصحاب هذا الشأن أنَّ الهدف هو إقصاء القرآن الكريم أساساً، ولا يتمُّ إقصاء القرآن حتى تتوارى اللغة العربية الفصحى، و(ويلكوكس) أول من دعا إلى نشر العامية والتأليف بها وقد كان له أسلوبه الماكر في الترغيب في العامية، فيقول: إنَّ من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عند المصريين استبقاءهم اللغة العربية الفصحى، لذلك لا بُدَّ من إغفالها واستبدالها بالعامية، اقتداء بالأُمم الأخرى، وخاصة الإنجليزية.

وقد كان للمستشرقين سالفى الذكر دعوات عدَّة إلى هجر الفصحى، واستعمال العامية، وقد أَلَّفوا الكتب بالعامية، ومنهم أيضاً (سبيتا) الذي أراد أن يجعل للعامية تراثاً، حيث قام بجمع ونشر العاميات من الأحاديث والفكاهات والكلمات، وجعلها مقدمة لعمل من جاء بعده. [27]

وقد بدأت شرارة الدعوة إلى العامية من نقطة واحدة أشار إليها تقرير (اللورد دورفين)؛ وهي نقطة القرآن؛ حين حمل المصحف بيده إلى مجلس العموم البريطاني، وأشار بأنَّ الإنجليز لا يستطيعون البقاء طالما يوجد هذا الكتاب في عقول المسلمين وقلوبهم، في إشارة إلى المصحف الذي بيده.

وكانت الخطة لتحقيق ذلك تركز في القضاء على اللغة الفصحى؛ لغة القرآن وإحلال العاميات المختلفة في كلِّ بلد عربي بديلاً لها، وبذلك تذهب الفصحى إلى المتحف كما ذهبت اللاتينية، ومن هنا كانت محاولات المستشرقين منصبة على إيجاد تراث للعامية يؤهلها للدعاء بأنها لغة وليست لهجة، فحرصوا على جمع الأمثال والأزجال والكلمات المختلفة.

وظلَّ المستشرق (ويلكوكس) يعمل منذ اليوم الأول حتى اليوم الآخر في سبيل الغاية، وكان هدف (ويلكوكس) أن تصبح العامية لغة خاصة. ثم جاء بعد ذلك تلامذة المستشرقين مثل: لطفي السيد، وقاسم أمين، وسلامة موسى، ومحمود تيمور، وغيرهم. [28]

وكان الأمر الأخطر هو أعداد هؤلاء النفر الذين حملوا الخصومة والحرب للغة العربية الفصحى تحت أسماء براقعة زاهية، أهمها: الإصلاح، والتمصير، وتيسير النحو، ودراسة اللهجات، حيث انبرى طه حسين،

ولطفي السيد، وعبد العزيز فهمي، وغيرهم لمحاربة اللغة الفصحى، والدعوة إلى العامية بحجج واهية خداعة. [29]

ثم توالى أفواج الدعاة مثلهم في رجال احتضنتهم مجامع اللغة العربية، فبثوا سمومهم وكانت حرباً على الفصحى، وجميع المحاولات التي جرت في سبيل إعلاء العامية قد باءت بالفشل حيث عجزت العامية أن تستوعب العقل العربي، وأكدت أنها لن تستطيع أن تصل إلى أعماق القلوب. [30]

ثانياً: الدعوة إلى استبدال الكتابة واستخدام الحروف اللاتينية:

بدأ ذلك من خلال نصائح المستشرقين لأصدقائهم العرب بأن إصلاح الخط العربي لا يكون إلا بتبنيته جانباً، والكتابة بالحرف اللاتيني بدلاً منه بغاية إفهام السامع، وكذلك زعمهم بأن الحروف اللاتينية مختزلة مختصرة، في حين أن الكتابة بالحروف العربية صعبة لتعدد أشكال الحرف الواحد، وقد استجاب بعض ضعاف النفوس إلى هذه الدعوة مثل عبد العزيز فهمي، وسيتمّ تفصيل هذه الدعوة في المطلب القادم. [31]

ثالثاً: تيسير الكتابة العربية:

من أخطر الدعوات التي وجهت للغة العربية تحت ستار تيسير الكتابة العربية دعوة عبد العزيز فهمي الذي اقترح استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ولم يكن عبد العزيز فهمي أول من فكّر في استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ولكنّه كان أول من اهتم بالفكرة اهتماماً كبيراً في مصر، حيث أجرى عليها بعض التعديلات ودعمها دعماً قوياً؛ لكي تكون مقبولة عند الناس، حيث بدأ فكرته باستهجانة لكل الدول العربية المستقلة سياسياً التي لم تجعل لها لغة خاصة بها، وذكر أننا نحن العرب أتعس خلق الله؛ لأننا لم نعالج التيسير الذي استخدمه أهل اللغات الغربية، ثم اتهم اللغة العربية بالصعوبة والجفاء نحويًا وصرفيًا، وغير ذلك من التهم... وكذلك دعوة أنيس فريجة التي هاجم فيها اللغة العربية الفصحى، فدعا إلى هجرها وهجر قواعد اللغة العربية، وكل ذلك بحجة تيسير الكتابة العربية؛ حيث زعم أنه يمكننا أن نوجد الهمزات جميعها وكذلك يمكننا أن نستغني عن حركات الإعراب؛ لأنها تعمل على صعوبة الكتابة العربية. [32]

وفي المقابل ظهر نمط آخر من دعاة العامية من محبي اللغة العربية والغيورين عليها تحت ستار تيسير اللغة، وذلك بصفتها وُضعت للحياة لا لتركن في زوايا الإهمال، وعلى رأس هؤلاء طه حسين الذي قدّم أطروحته التي تُبين الطريق للحفاظ على سلامة العربية، بحيث تكون مقربة من العامية في يسرها، بعيدة عنها في استهتارها

وتملصها؛ وذلك بتأهيل الكوادر الإعلامية في الإذاعة والتلفزيون والمسرح، وتقادي الأخطاء السابقة في تيسير العربية، وإشاعة الفصحى المبسطة في الأغنية والمسرحية. وقد سار عبد الكريم خليفة على نهج طه حسين وأضاف لمنهجه في الحفاظ على سلامة اللغة معالجة مشكلة المصطلحات في اللغة العربية، وحلّ مشكلة نحو اللغة وصرفها، وإنشاء مجلدات تستوعب الفصحى وغير الفصحى. [33]

المطلب الثاني: أبرز دعاة العامية والردّ عليهم

- **لطفي السيّد:** ملّخص دعوة السيّد أن يحتضن الكُتّاب المفردات العربية الموجودة في اللهجة العامية، فيردوا ما تشوّه منه إلى أصله العربية، ويستعملوها استعمالاً صحيحاً، وأنّ أقرب الطرق إلى إصلاح العربية باستعمال الكلمات العامية، فإذا استعملناها في الكتابة اضطررنا إلى تخليصها من الضعف، وجعلنا العامة يتابعون الكُتّاب في كتاباتهم.

- **الردّ عليه:** يقول الدكتور مصطفى الرافعي: إنّ في العربية سرّاً خالداً هو هذا الكتاب المبين الذي يجب أن يؤدي على الوجه الصحيح، ويحكم منطقاً وإعراباً بحيث يكون الإخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيف بالكلمة عن وجهها، وبالجملة عن مفرداتها، وبحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر، ثم هذا المعنى الإسلامي (الدين) المقام على الفطرة الإسلامية، حيث توزعت، وأين استقرت، فالأمر أكثر من أن يؤثر فيه سورة حمق، أو تأخذ منه كلمة جهل، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس، لما أطرّد التاريخ الإسلامي، ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله، ولما تماسكت هذه الأمة. [34]

- **عبد العزيز فهمي:** يعدّ عبد العزيز فهمي أول عربي حمل لواء الدعوة إلى استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية، وكان ذلك على مجمع اللغة العربية، وقد كانت فحوى دعواه أنه عرض مشروعا يرمي إلى اتخاذ اللاتينية لرسم الكتابة العربية، مستندا بذلك إلى قول (ولمور) و(ويلكوكس) وغيرهم من أنّ اللغة كائن حي ينمو ويموت مخلفاً بعده ذرية لغوية.

- **الرد عليه:** أثارت دعوته عددا كبيرا من الكُتّاب للردّ عليه، وفي مقدمتهم عبد الوهاب عزام، وعباس العقاد، ومحمود شاكر وغيرهم، ومن الردود ردّ الأستاذ محمد كرد، حيث قال: إنّهُ قول زميلي أنه يوشك أن تغزونا اللغات الأجنبية فنترك لغتنا، ونستعوض عنها بلغة من لغاتهم هذا خوف لا محلّ له؛ لأنّ العربية تزدد كل يوم رسوخا في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبسبب توفّر أسباب التعلّم، ولا يخفى

أنَّ لاحتطاط الشعوب الإسلامية في بعض مظاهره عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف العربية، وقواعد الرسم، وبرهانه ضعيف ولا يصحُّ الاستدلال به.

وقد أشار (إدوارد دنيسون) مدير مديرية اللغات الشرقية معارضا هذه الدعوة، فقال: أمَّا بالنسبة لاستبدال الحروف العربية باللاتينية فإياكم وهذا الأمر؛ لأنَّ الحروف العربية هي حروف لغة القرآن، فإذا مسستم بالعربية مسستم بالقرآن، بل هدمتم صرح وحدة الإسلام. [35]

- **الخوري مارون غصن:** دعا إلى العامية، وأصدر كتابا عنوانه: (حياة اللغة العربية وموتها: اللغة العامية عام 1926)، وينطلق الكتاب من افتراض أنَّ كلَّ لغة سائرة إلى الفناء قياسا على ما عرفه تاريخ اللغتين اليونانية واللاتينية، وقد دعا إلى إحلال العامية محلَّ الفصحى، وقال: إنَّ العربية الفصحى يُحتمل بل يُرجَّح بقاؤها في القرآن إلى منتهى الأيام، ولكن لا ينتج عن ذلك بقاؤها في البلاد العربية كما هي إلى الأزل، وقال: إنَّ الكثير يأنفون من استعمال اللغة الفصحى لنشر أفكارهم، وترويج مقاصدهم. [36]

- **الرد عليه:** أخطأ الخوري في أنه افترض في العربية لغتين، الواحدة فصيحة والأخرى عامية، وليس هذا بصحيح؛ لأنَّ اللغة العربية واحدة، وما يسميه لغة عامية هو في الحقيقة ألفاظ وعبارات يستعملها الكُتَّاب والأدباء، فالعامية ممزوجة بالأغلاط، والعامية أيضا لهجات في الحركات عند التكلم بها تختلف باختلاف البلدان شرقا وغربا.

ثم إنَّ المبدأ الذي قرَّره بقوله إن اللغة أقلية إلى الفناء لأنَّه محتم على كل حيٍّ أن يموت هو مبدأ لا يُصدَّق في اللغات؛ لأنه يفترض أن اللغات تحيا بالأجسام، وهذا ليس صحيحا، أما اللغة فتراها غالبًا بعد انحطاطها بإهمال الأدب وموت الأدباء تنهض من كبوتها، وتنتعش، فاللغة لا تموت كما تموت الحيوانات والنباتات، بل يموت الشعب الذي ينطق بها، فإذا ما بقي الشعب العربي الذي ينطق بها فإنها تحيا لغته، ويتجدد شبابها، ولا تنحط بل ترتقي برقي أدابه.

ولنا مثال آخر في اللغة العربية، إذ كانت في العصر الجاهلي تختلف معاني كثير من ألفاظها باختلاف القبائل، ولكن بعد أن كُتب القرآن، وبعد أن أخذ العلماء يفسرونه، وانتشرت بعدها الكتب في الحديث والعقيدة والتاريخ والطب، وضُبطت قواعد اللغة العربية... ثبتت اللغة العربية كما ثبت البناء المُشَيَّد بالحجارة، حيث إنَّنا

نفهم اليوم كتباً ألّفت قبل ألف ومائتي عام، ويكتب أدباؤنا اليوم كما كتب العرب لفائدة العامة في جزيرة العرب. [37]

- **الزهاوي:** كتب الزهاوي مقالا أسماه: "لغة الكتابة ووجوب اتحادها مع اللغة المحكية"، حيث يقول: إنّي فتشت طويلا عن انحطاط المسلمين فلم أجد غير سببين، أولهما الحجاب الذي عدّدت مقالتي الأولى مضارّه لو كان هناك آذان صاغية، والثاني كون المسلمين ولا سيّما العرب الذين يكتبون غير اللغة التي يحكونها.

وقد صفّق له دعاة التغريب، وأعجبوا به فأطلقوا عليه لقب المُجدّد، والمُحقّق والعالم الكبير.

- **الردّ عليه:** ردّ عليه الشيخ علي يوسف فقال: إنّ لغة التخاطب ليست واحدة عند الأمم العربية، بل هي تكاد تكون لغات مختلفة، فأهل المغرب الأقصى يختلفون في النحت والمزج اختلافا كبيرا عن أهل العراق، وكذا أهل الجزيرة العربية، وعسير أن تُوحّد لغة الكتابة للسان الأمم العربية، أمّا اللغة الفصحى لكل كاتب عربي فهي مقروءة مفهومة عند كلّ قراء العربية، ليس الخاصة فقط، بل الذين ارتفعت عنهم العامية.

وهناك محاذير أخرى يجزّئها على الأمم العربية اتخاذ لسان التخاطب لسان كتابة، وذلك أنّه يجعل القرآن بمعزل من القائمين والكاثرين الذين سيذهب بهم التجدد بعد ذلك كل مذهب. [38]

المطلب الثالث: آراء العلماء والأدباء حول مشكلة ازدواجية اللغة

ومن خلال الدعوات السابقة للعامية، وحصول مشكلة الازدواجية بين اللغة العربية الفصحى وبين العامية، تباينت آراء الكتاب والعلماء في هذه المسألة وتعددت الحلول، وهذه مجموعة من الآراء التي دارت حولها هذه المشكلة:

✓ فريق يرى أنّ العامية تسير بجانب اللغة الفصحى، وهو أمر طبيعي حسب وجهة نظرهم وهو في كل اللغات وليس حكرا على العربية وحدها، بل هو تطور طبيعي، بل هو من سمات الحضارة عند الشعوب.

✓ وفريق يرى أنّ استخدام العامية يعني تشرذم اللغة الفصحى إلى لغات أخرى؛ كما حدث لللاتينية، فاعتبروا محاربة العامية أمر لا بُدّ منه.

✓ وفريق يرى أنَّ خير علاج هذه المشكلة هو أن تُستبدل لغة أجنبية باللغة العربية -فصحى وعامية- وهذا القول ساقط من أصله، بل لا يمكن أن يكون؛ لأنَّه فناء للذات العربية بفناء لغتها، وهذا الكلام ذُكر في الردِّ على عبد العزيز فهمي.

✓ وفريق آخر يرى أنَّ علاج هذه المشكلة بين اللغة الفصحى والعامية يكون بنوع من الملاقاة بين اللغة الفصحى والعامية، وإن كان هذا الرأي يبدو للوهلة الأولى صواباً، لكنَّه في الحقيقة يدسُّ السمَّ في الدسم؛ فالمقصود منه التخلي التدريجي عن اللغة الفصحى؛ لأننا عند قبولنا مستوى جديداً بين الفصحى والعامية نكون قد تنازلنا عن جزء من خصائص اللغة الفصحى لصالح العامية، أي أنَّ الفصحى تكون قد خسرت من سماتها بقدر ما تنازلنا عنه، ولن يستمر هذا الوضع اللغوي طويلاً، فبعد فترة سيظهر ازدواج لغويٍّ جديد، يفرض التخلص منه عمل نوع من الملاقاة. [39]

المبحث الرابع: الردُّ على دعاة إحلال العامية محل اللغة الفصحى في اللسان العربي

إنَّ الفصحى هي لغة العلم والدين، وهي الوطن الروحي للعرب، إنَّها رمز الوحدة والتواصل بين أفراد الأمة العربية، أمَّا العامية فهي الخصم الحقيقي لأيِّ وحدة وتقارب، إنَّها دليل على التعدد والتفرق والتشردم، فهي نذير الانفجار لكل منجزات الأمة.

وكذلك فإنَّ نمو العامية لا يكون إلا على حساب الفصحى، فهي تصارع الفصحى من أجل البقاء والسيادة.

والأمة الواعية هي المنسجمة في طبقاتها في بوتقة واحدة، وهي التي تدور طبقاتها في فلك واحد، فإذا كان لغة طبقة لغة خاصة بها كما في العاميات انعدم الانسجام، وقامت الشقوق في صرح الأمة، فاللغة حياة، والإنسان لا يستطيع أن يتكلم لغة دون أن يميل إلى لغة شعبها، فإذا كانت كلُّ طبقة تتكلم بلغة ما دبَّ التفسُّخ في بيت الأمة.

وقد ذكر الشيخ الأفغاني كلاماً راقياً، ومن جماله أثرت أن أنقله كما هو على طوله؛ لما له من وقع عظيم في النفوس، فهو يوفي اللغة الفصحى حقها من المكانة والتقدير، وفي ذلك يقول: "إنَّ القرآن تنزل من العرب بمنزلة الفطرة اللغوية، التي يساهم فيها كل عربي بمقدار ما تهيأ له من أسبابها الطبيعية، إذا كان مما احتواه من الأساليب، وما تناوله من أصول الكمال اللغوي، وما دار عليه من وجوه الوضع البياني قد هتك الحوائل، ومحا

الفوارق فأجمعت عليه الكمال الذي كانت تتخيله، وأنهم تماالأوا طوال الدهر على أن يهذبوا من لغتهم ليلبغوا مبلغ الكمال الوضعي على النحو الذي جاء به القرآن.

تلك سياسة القرآن في جمع العرب، رأى ألسنتهم تقود أرواحهم فقادهم من ألسنتهم، فلما استقاموا له أقامهم على طريق التاريخ التي مرت فيها الأمم، وطرحت عليه تقائضها، فكانت غبارها، وأقامت فضائلها فكانت آثارها.

إن هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن، وقد أجمع الأولون والآخرين على فصاحته، فإذا كان المعجز في لغة من اللغات بإجماع علمائها وأدبائها من قديمها فهل يكون الجديد فيها كمالات أم نقصاً؟!

ثم إن فصاحة القرآن يجب أن تبقى مفهومة، ولا يدنو الفهم فيها إلا بالمران والمزاولة ودرس الأساليب الفصحى، والاعتناء بها وإحكام اللغة، كل هذا يجعل الترخّص في هذه اللغة ضرباً من الفساد والجهل". [40]

المبحث الثالث: أثر العامية على اللسان العربي

مع ظهور العوامل العديدة التي أدت لانتشار العامية على الألسن العربية، والدعوات المتكررة من المستشرقين ومن طواعهم من العرب أصبحت العامية تنتشر بل تطغى على لغة الحديث اليومي لدى العرب، ويقابل هذا تدهور واضح للغة العربية الفصحى، ما نتج عنه مخاطر جمة على اللغة العربية بشكل عام، وعلى اللسان العربي بشكل خاص، وفي هذا المبحث سنتناول مخاطر غلبة العامية على الفصحى عند العرب، وكذلك الأسباب التي أدت إلى التدهور الخطير للعربية الفصحى، ثم نتناول كيفية الخروج من هذه المشكلة باسترجاع اللغة العربية الفصحى لمكانتها، واستعماها في اللسان العربي لدى عامة الناس.

المبحث الأول: أسباب تدهور مستوى الفصحى

ليس من شك في أن من أسباب ظهور العاميات وطغيانها على اللسان العربي التدهور الحقيقي في اللغة العربية الفصحى، ولعل أهم أسباب هذا التدهور الآتي:

- ✓ إن انتشار استعمال وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، ومواقع التواصل الاجتماعي أثر سلباً كثيراً على مطالعة الكتاب عند الأجيال العربية، بحيث لم يعد الكتاب خير جليس وأنيس للإنسان العربي المتعلم.
- ✓ انتشار التعليم كما وبسرعة في العالم العربي أدى إلى ضعف المستوى الكيفي بما في ذلك مستوى لغة التعليم الرسمية (الفصحى).

✓ انتشار تدهور مستوى لغة الضاد لكل من معلّم الابتدائي وأستاذ الإعدادي والثانوي والجامعي في المدارس والجامعات العربية.

✓ تفشي التأثيرات الثقافية غير العربية بما فيها اللغات الأجنبية، واللهجات، لا سيّما في دول الخليج العربي.

✓ ندرة الإنتاج العربي الممتاز، الذي يشدّ القارئ العربي ويشدّ أفكاره وأسلوبه، ومعرفته بأسرار العربية الفصحى نحواً وصرفاً وبلاغة.

✓ مشاغلنا السياسية الشرق أوسطية جعلتنا نميل أكثر إلى مطالعة الجرائد اليومية، والمجلات الأسبوعية، وبالتالي نتعوّدنا على لغة المطبوعات، وفقدنا من جراء ذلك وجود الفرصة للتطّبع بلغة المجلات القيّمة، والكُتب ذات المستوى اللغوي والفكري المثري تعبيرا وتصوّرا لقضايا الحياة المتعددة والمتجددة. [41]

المطلب الثاني: مخاطر العامية على العربية عموماً، وعلى اللسان العربي خصوصاً:

1. شيوع فكرة العامية في الأمة العربية يؤدي إلى ضعف العامية والفصحى.
2. قاعدة التسامح في استعمال المفردات العامية تتسع في الأجيال القادمة إلى درجة تصبح الفصحى في كتابها الكريم ضرباً من اللغات الأثرية.
3. فكرة إحياء اللغة باستعمال العامية تتعارض مع ما سببته لغة القرآن من تقييد اللهجات، ومحو لغات العرب جميعها على فصاحتها، وردّها إلى لغة واحدة. [42]
4. اتخاذ العامية للحديث والكتابة ينتج التفاهم مؤقتاً في بيئة محدودة، وزمان محدد.
5. إنّ التفاهم في البيئات العربية المختلفة يحتاج في المستقبل إلى تأليف معاجم للغات العامية، كما هو الحال في اللغات الأجنبية، وإذا أراد الرجل العربي في مستقبل الأيام أن يقرأ كتاباً صادراً من غير بيئته وجب عليه الاستعانة بالمعجم لترجمة اللغة العامية.
6. الأخذ باللغة العامية يقطع حاضر العرب ومستقبلهم عن ماضيهم فلا يمكن للأجيال القادمة أن تفهم تراث الماضي المدوّن باللغة الفصحى، إلا إذا انتقل هذا التراث إلى مختلف اللغات العامية، على أنّ هذا العمل يحتاج إلى وقت كبير وجهود عديدة، لا قبل لأحد بها، ولا سيّما إذا علمنا أنّ التراث العربي ضخم جداً، ولا ننسى أن النقل المتكرر للنصوص يُشوّه روح النصوص ويبعدها بالتدرج عن أصلها الفصيح.

7. لم تبلغ العامية من النضج وال ضبط والإحكام مستوى اللغة الفصحى، ولا يمكن أن نعتبرها لغة فكر وعلم، إنما هي لغة بدائية (خام)، بعيدة عن العقل؛ لأنها لم تتمرن على النهوض بأعباء الحياة العملية والفكرية، بينما كانت الفصحى حاملة رسالة العلم، والأدب والفلسفة أعقاباً طويلة من الزمن. زد على ذلك أن العامية لا مناص لها من الانحصار في بيئة ضيقة محلية، فلن يتاح لها ما أتيح للعربية من الرقي والنضوج في شيوعتها.

8. كلُّ لغة عامية ثابتة في أوضاعها، فهي في حاجة إلى معجم تاريخي خاص بما يبين تغير المعاني ألفاظها ومصطلحاتها، وقواعدها بحسب الزمن كي يستطيع الخلف أن يكتب ما كتبه السلف، ويترجم لغة آبائه العامية إلى لغة العصر الذي يعيش فيه، ويغير هذه الترجمة لا تتصل الوحدة الفكرية بين الأجيال المتعاقبة. [43]

9. انتشار العامية يعمل على خنق الفصحى ويقف حائلاً دون انتشارها خارج نطاق الوطن العربي، فهي تمنع أن يكون للفصحى بعدٌ عالمي، فإذا رغب الأجنبي في تعلُّم اللغة العربية فإنَّه يتعلم اللغة الفصحى، وإذا حدث أبناء العربية استخدم الفصحى التي قد يصعب فهمها على محور الناطقين بالعربية، فلا يستطيعون مجاراته، ولا يقدرون على نقاشه، وهنا ينقطع الاتصال، ويتوقف الحوار، وفي المقابل إذا تعلَّم الأجنبي اللغة مشافهة في إحدى البيئات العربية فإنَّه يتعلم عامية تلك المنطقة، فإذا ما انتقل إلى بيئة عربية أخرى انغلق عليه فهم عاميتها، وصعب على أهل تلك المنطقة فهم العامية التي يجسدها هو. [44]

10. إنَّ العامية ليست واحدة، إنها عاميات متعددة وكثيرة، فأيَّة عامية تريد؟ وهل يمكن أن نرغم المصري على اصطناع عامية العراقي، أو العراقي على اصطناع لغة المصري؟ فالدعوة إلى العامية دعوة إلى التحيُّز والتحلل، وفوق ذلك انفلات من الروابط الجامعة بين البشر.

11. إنَّ العامية على تعددها وتنوعها غير قادرة على الوفاء بحاجات الأمة مهما بُذلت من جهود لتعقيدها وتسويقها، فإنَّها تظل بالرغم من هذا كلِّه عاجزة على الوفاء بحاجات التعبير، ولا تستطيع أن تمدَّ الفرد بما يحتاجه من ألفاظ وأساليب.

12. إنَّ اللغة العامية لا تناسب اللغة الإعلامية، ولا تفي بحاجاتها، فوسائل الإعلام على اختلافها وتنوعها تصطنع لغة أقرب إلى الفصحى، لذا اقتضى تنحية العامية وإقصاءها وتجاوزها.

13. الدعوة إلى العامية تأتي في سياق المد الغربي الأوروبي والأمريكي في وقت فقدت الأمة تماسكها ووحدتها، وطمسها الصراعات المذهبية، فالدعوة إلى العامية في ظلّ هذا الوضع المتخلف والمُزري يحمل بين ثناياه بذور التوجُّس والريبة، فماذا يبقى للأمة كي نخسر بعد هذا الخسران المبين. [45]

المطلب الثالث: كيفية الحفاظ على اللسان العربي من خطر العامية

إذا أردنا أن تبقى العربية الفصحى هي الرباط الأقوى الذي يجمع بين شعوب أمتنا العربية فلا بُدَّ لأصحاب القرار من اتخاذ خطوات عملية دفاعاً عن لغتهم الفصحى، وحفاظاً على هويتهم؛ لأنَّ اللغة هي الرباط الأقوى الذي يجمع بين أفراد الأمة إذ يجب عليهم إقناع أبناء الأمة بأهمية اللغة الفصحى، وبمقدرتها على التعبير عن كل متطلبات العصر، وقدرتها على استيعاب مصطلحات العلوم والثقافة. [46]

وهذه بعض المقترحات العملية للحفاظ على اللسان العربي:

1. إعادة النظر في المناهج التربوية والتعليمية المتداولة بحيث تخلص هذه المناهج لتحقيق القراءة والكتابة الصحيحة، بدءاً من رياض الأطفال وحتى التخرج، بحيث تجعل الصفوف التي تمتد من الأول حتى الرابع الأساسي للكتابة والقراءة والتدوين والحفظ، فيُدرَّب التلاميذ على محاكاة النصوص الأدبية الرفيعة. ثم تأتي المراحل الأخرى مرسخة لهذا الهدف وداعمة له، مع التنويع في مجالات الفكر والعلوم الأخرى، ويركز خلالها على تعميق القراءة الصحيحة، ويفهم النطق الصحيح بوسائل أكثر فاعلية وجاذبية. ولذلك يجب أن يصبح الاعتناء باللغة الفصحى من أهم مشاغل المدارس والمعاهد والجامعات العربية، وبصورة أشمل ينبغي إدماج مبدأ الإلمام الضروري باللغة العربية في السياسات الثقافية للمجتمعات العربية بحيث يصبح الأمن اللغوي -التمكن من معرفة كافية بالفصحى كتابة وقراءة وحديثاً- جزءاً لا يتجزأ من الأمن الثقافي في كل مجتمعات الأمة العربية. [47]

2. إنشاء أسواق أدبية لغوية يُعَمَّم من خلالها لغة مشتركة؛ بإتقان العربية المعاصرة، ويتمَّ تشجيع الناشئة على إنتاج مواد أدبية وإلقائها في هذه الأسواق، ونشرها كي تسهّم بجعل اللغة المشتركة الفصحى لغة متداولة في المحافل الأخرى.

3. تعريب التعليم الجامعي بإعادة النظر في اللغات التي تُعَلَّم بها مواد التخصصات المختلفة؛ لجعل الجامعة سوقاً آخرًا مفتوحاً لنشر العربية الفصحى المعاصرة وتعميمها. ومثل هذه المسؤوليات تقع على عاتق الجامعات ومؤسسات المجتمع المدني من جهة ومؤسسات الدولة من جهة أخرى.
4. تطوير وسائل الإعلام لحمل العربية الفصحى المعاصرة، وجعلها لغتها الرسمية، بحيث تصبح اللغة المستخدمة في وسائل الإعلام اللغة العربية الفصحى المعاصرة، وبذلك تُحوَّل وسائل الإعلام من طرف في المشكلة إلى طرف مؤثر في الحل. [48]
5. إعادة الثقة بالفصحى لأنها تعبر عن سيادة الأمة الناطقة بها، فهي لغة رسمية في محافل الأمم المتحدة، ووكالاتها المتخصصة.
6. تربية الفرد والمواطن العربي على الشعور بقيمة اللغة الفصحى، ومسؤوليته تجاهها، وأنه لا حياة كريمة له إلا بها، ولا يمكن أن يحيا في لغة أخرى أو بها، فهي وعاء شخصيته وحضارته وتاريخه.
7. توسيع استعمال الفصحى، وجعلها لغة المسرح والسينما والتلفاز، وخصوصاً في البرامج الموجهة إلى الأطفال الصغار، الذين يعتمدون إلى حدٍ معين إلى السماع في تكوين حافظاتهم اللغوية، لذا من الضروري أن يلتفت القائمون على أمر هذه القنوات إلى الوسيلة الفاعلة في توصيل رسالتهم إلى الناطقين باللغة العربية، والفصحى خير وعاء لذلك. [49]
8. الحفاظ على الإرث الكبير، والتراث الضخم العريق في جميع الميادين، فلا بُدَّ من الاستعانة بهذا التراث في سبيل ترسيخ اللغة العربية الفصحى في أذهان الناطقين بها. [50]

- النتائج:

1. السبب الرئيس في نشأة العامية هو خروج اللغة العربية من موطنها الأصلي، واحتكاكها باللغات الأخرى.
2. للاستعمار الأوروبي دورٌ بارزٌ في نشر العاميات وفرض اللغات على العرب، لأهداف معلنة أو مخفية.
3. تتميز اللغة الفصحى بأنها لغة فكر من حيث هي لغة القرآن الذي ألقى إلى الإنسانية أضخم شحنة من القيم والمبادئ.

4. اللغة العربية الفصحى لها ظرف خاص لم يتوفر لأي لغة من اللغات؛ وهي أنها ارتبطت بالقرآن الكريم قريبا من خمسة عشر قرنا، وتكفل الله بحفظها، وقِيض لها من يتكلم بها آناء الليل وأطراف النهار.
5. لولا حاجة الناس إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على تعلم معاني القرآن والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين لبطل الشعر واندثر ذكر الشعراء.
6. معظم دعاة العامية العرب حاولوا أن يسقطوا تجربة اللغات الأجنبية على اللغة العربية .
7. اللغة الفصحى هي لغة العلم والدين، وهي الوطن الروحي للعرب، ورمز التواصل بين أفراد الأمة، أمّا العامية فهي الخصم الحقيقي لأي تقارب بين العرب.
8. مواقع التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام أثرت سلبيا على اللغة الفصحى بحيث نشرت العاميات بين المستمعين، وكذلك لم يعد الكتاب خير جليس وأنيس للإنسان.
9. لم تبلغ العامية من النضج والضبط مستوى اللغة الفصحى، ولذا لا ترتقي إلى لغة، بل هي أقرب إلى اللهجة.
10. العامية على تعددها وانتشارها الواسع غير قادرة على الوفاء بحاجات الأمة العربية.

- التوصيات:

1. عمل برامج توعوية ذات بعد إستراتيجي لإقناع المواطن بأهمية الاعتماد على الفصحى ونبذ العامية.
2. إعادة النظر في المقررات المدرسية والجامعية، بإضافة مواد تدريبية ووسائل متنوعة لترسيخ الفصحى على ألسنة الطلاب.
3. عمل أسواق أدبية بمكافآت عينية للمشاركين في هذه الأسواق، ولا سيّما الناشئة، وتشجيعهم على الإلقاء والتحدث بالفصحى.
4. تفريغ الطلاب في المراحل الأساسية الأولى لتعلم الفصحى كتابة وقراءة وحديثا.
5. تهيئة المدرسين لغويا في جميع التخصصات، واشتراط التكلم بالفصحى كشرط لمزاولة المهنة.
6. إنشاء صالونات أدبية مسائية تتبع لخطّة استراتيجية ممنهجة محصلتها إثراء المحصلة اللغوية لدى الناس.

قائمة المصادر والمراجع:

- [1] أبو منصور بن أحمد الأزهرى. تهذيب اللغة. تح: عبد السلام هارون. مصر. الدار المصرية للتأليف والترجمة. د.ت. ج. 1. ص 121.
- [2] ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر. د.ت. ج. 2. ص 431.
- [3] إميل بديع يعقوب. فقه اللغة وخصائصها. بيروت: دار العلم للملايين. 1982. ص 144.
- [4] أحمد زغبى. لهجة وادي سوف، دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث. الجزائر: مطبعة مزوار. 2012. ص 19.
- [5] صالح عبد الرحمن. أثر اللسانيات في النهوض بالمستوى للغة العربية. (ماجستير) 2002. ص 42.
- [6] أنيس فريحة. اللهجات في أسلوب دراستها. بيروت: دار الجيل. 1989. ص. 98-97.
- [7] علي عبد الواحد وافي. فقه اللغة. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر. ط: 3. 1369هـ. ص 154.
- [8] د. عبده الراجحي. اللهجات العربية في القراءات القرآنية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 1996. ص 37.
- [9] إميل يعقوب. فقه اللغة. ص 112-113.
- [10] عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون. تح: د. علي عبد الواحد وافي. القاهرة: دار الكتاب للنشر. 2014. ص 559.
- [11] عباس المصري وعماد أبو حسن. الازدواجية اللغوية في اللغة العربية. مجلة المجمع. 2014. ص 48، ومقال للدكتورة فاطمة الزغبى تحت عنوان: أثر اللهجات العامية على لغة الجوال ص 6.
- [12] ابن منظور. لسان العرب. ماد ف ص ح. ص 3419.
- [13] إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين. ط: 4. 1990. ص 211.
- [14] حسين بن زروق. العامية الجزائرية وجذورها الفصحى. دراسة مقارنة. الجزائر. 2018. ص 15.
- [15] أبو القاسم الزمخشري. أساس البلاغة. تح: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية. 2016. ط. ج. 2. ص 14.
- [16] حسين بن زروق. العامية الجزائرية وجذورها. ص. 14.
- [17] عبد الرحمن صالح. السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة. الجزائر: موضع للنشر. 2007. ص 53.
- [18] إبراهيم كايد. العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية. المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل بن فهد. العدد 2002/1. ص 61.
- [19] حسين بن زروق. العامية الجزائرية وجذورها الفصحى. ص 14.
- [20] الفصحى وعامياتها. لغة التخاطب أعمال الندوة الولية بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية. 2007. ص 67.
- [21] علي عبد الواحد. فقه اللغة. ص 119.
- [22] إميل بديع يعقوب. فقه اللغة وخصائصها. ص 144.
- [23] أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن. بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1982. ص 16-17.
- [24] رمضان عبد التواب. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1997. ص 13.
- [25] ابن الأنباري. إيضاح الوقف والابتداء. تحقيق: محيي الدين رمضان. دمشق. 1987. ص 100.
- [26] أبو حاتم الرازي. الزينة في الكلمات. تحقيق: حسين الهمذاني. القاهرة 1957، 116/1.
- [27] أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن 127-130.
- [28] المرجع السابق. ص 127-130.
- [29] أحمد الخطاب عمر. يسروا النحو للمعربين. الكويت: مجلة العربي. العدد 229. 1983.
- [30] أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص 169-170.
- [31] أحمد الخطاب عمر. يسروا النحو للمعربين. العدد 229.
- [32] د. نفوسة زكريا سعيد. تاريخ الدعوة إلى العامية أثرها في مصر. الإسكندرية: دار نشر الثقافة. 1964. ص 208.

- [33] محمد البرازي. مشكلات اللغة العربية. ص57
- [34] أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن 187-188
- [35] المساجلات والمعارك الأدبية في مجالات الأدب والفكر والحضارة، أنور الجندي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص31-32
- [36] أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن. ص187-188
- [37] أحمد الجندي. المساجلات والمعارك الأدبية. ص52
- [38] أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن 187-188
- [39] حسين علي محفوظ. تقريب العامية من الفصحى. مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة: الجزء 41. 1978.
- [40] أحمد الجندي. المساجلات والمعارك الأدبية. ص56-57
- [41] حافظ علوي، وعبد الكريم عزي. اللسان العربي وإشكالية التلقي. مركز دراسات الوحدة العربية. ص57-58
- [42] د. عطية سليمان. تاريخ اللهجات في مصر. ص137
- [43] أنور الجندي. الفصحى لغة القرآن ص222-223
- [44] إبراهيم كايد. العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية ص70-71.
- [45] عباس المصري، وعماد أبو حسن. الازدواجية في اللغة العربية. ص61-62.
- [46] إبراهيم كايد. العربية الفصحى بين الازدواجية ص101
- [47] حافظ علوي، وعبد الكريم عزي. اللسان العربي وإشكالية التلقي 58
- [48] عباس المصري وعماد أبو حسن. الازدواجية اللغوية في اللغة العربية ص69-70
- [49] محمد موسى جبارة. اللغة العربية في العصر الحاضر. مشكلات وحلول، صحيفة الجزيرة.
- [50] أعمال الندوة الدولية بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية الفصحى وعامياتها. ص67.